ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Fawzi Khairy Kazem

Imam Al-Kadhim College of Islamic Sciences

Email: fawzy1000@gmail.com

Keywords:

Objectives , interpretation , Qanouji , zakat

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 26.Nov.2024

Accepted 31.Dec.2024

Published 25.Feb.2025

The intentional interpretation of zakat by Al-qunuji (d. 1307 Ah)

A B S T R A C T

The research talks about one of the important topics in financial transactions, which is the topic of Zakat, because of its great importance as it represents the goal of the Islamic approach in the concept of social solidarity through which Islam tried to preserve the rights of Muslims, especially the poor among them, by legislating the obligation of Zakat. We notice the emphasis on it through the many legislative texts and noble verses from which the importance of its legislation is understood. Jurists and interpreters of different schools of thought have addressed the importance of this obligation, so they expanded in addressing the explanations of the noble verses that mention it, and detailing everything related to it. Perhaps among the scholars who wrote a lot about it through his many books, and with a new interpretive approach is the objective interpretive approach that he adopted in most of his books, especially the interpretive ones, and this scholar is (Siddiq bin Hassan Al-Qanuji), who is one of the most important scholars of India in the modern era, due to the abundance of his books on the one hand and the fact that he is one of the great scholars in the Islamic world in its modern era on the other hand. Given the importance of Zakat, we have taken it as the subject of this research, which we have titled “The Purposeful Interpretation of Zakat by Al-Qanuji (d. 1307 AH).”

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol58.Iss2.4166

التفسير المقاصدي للزكاة عند القنّوجي (ت ١٣٠٧هـ)

م.د. فوزي خيري كاظم
كلية الإمام الكاظم ع للعلوم الاسلامية

ملخص البحث

يتحدث البحث عن موضوع مهم في المعاملات المالية وهو موضوع الزكاة لما فيه من أهمية كبيرة كونها تمثل غاية المنهج الإسلامي في مفهوم التكافل الاجتماعي الذي حاول الإسلام من خلاله حفظ حقوق المسلمين لاسيما الفقراء منهم من خلال تشريع فرضة الزكاة، ونلاحظ التأكيد عليها من خلال النصوص التشريعية الكثيرة والآيات الكريمة التي يفهم منها أهمية تشريعها. وقد تناول الفقهاء والمفسرون باختلاف مذاهبهم أهمية تلك الفريضة فتوسعوا في تناول شروح الآيات الكريمة الذاكرة لها، وتفصيل القول في كل ما يتعلق بها، ولعل من بين العلماء الذين كتبوا عنها الكثير من خلال عديد مؤلفاته، وبمنهج تفسيري جديد هو المنهج التفسيري المقاصدي الذي اعتمده في غالب مؤلفاته لاسيما التفسيرية منها، وهذا العالم هو (صديق بن حسن القنّوجي) وهو أحد أهم علماء الهند في العصر الحديث، وذلك لغزارة مؤلفاته من جهة وكونه واحداً من العلماء الكبار في العالم الإسلامي في عصره الحديث من جهة ثانية. ونظراً لأهمية الزكاة فقد اتخذناها موضوعاً لبحثنا هذا الذي وسمناه بـ(التفسير المقاصدي للزكاة عند القنّوجي ت ١٣٠٧هـ).

الكلمات المفتاحية: المقاصد، التفسير، القنّوجي، الزكاة

المقدمة

تعد دراسة المقاصد التفسيرية من الدراسات الحديثة المنشأ عند العلماء والمفسرين، ولم تكن معروفةً على نحو واسع أو تخصصي عند العلماء الأقدمين، على الرغم من ذكرهم لبعض مناحيها العلمية في كتاباتهم ولكن على نحو غير مقصود، أرادوا من خلالها تبيين مقصدهم العلمي، وتبيان بعض الحكم من صدور التشريع المقدس من نصوص القرآن الكريم، وليس الإشارة إلى هذا الاتجاه العلمي الناشئ. إذ لم تكن دراسة مقاصد القران الكريم عند العلماء على نحو تخصص فني. ولأن هذا المنهج أو الاتجاه الجديد في التفسير قد طغى على بعض الألوان التفسيرية القديمة، وأخذ بعض المفسرين بانتهاج هذا الخط في كتبهم.

ومن أهم العلماء الذين ألفوا في هذا المجال هو العلامة (صديق بن حسن الحسيني القنّوجي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) في بعض مؤلفاته لاسيما كتابه المهم المعروف بـ(فتح البيان في مقاصد القرآن) وهو كتاب تفسير مبني على أصول هذا المنهج التفسيري المعروف بالمقاصد. ولكونه من أكثر مؤلفاته التي اعتمد فيها على هذا المنهج.

وقد درسنا فيه هذا المنهج بشيء من الاختصار واكتفينا بالتعريف بهذا العلم ودراسة بعض أحوال المؤلف للوقوف على منهجه وموارده. أما حدود الدراسة فقد اكتفينا بدراسة موضوع الزكاة فقط، كون الزكاة موضوع مهم جداً لما له من تأثير كبير على المسلمين بصورة عامة لاسيما الفقراء منهم لأنها من أهم موارد التكافل الاجتماعي الذي أقرته نصوص التشريع في القرآن وأكدت على أهميته.

منهجية البحث

بيّنا في هذه الدراسة التعريف اللغوي والاصطلاحي للمقاصد، ثم درسنا نبذة عن حياة المؤلف (القنّوجي) الشخصية والعلمية، ولعل من المفيد الإشارة هنا إلى أن المؤلف قام بترجمة نفسه وبعض أفراد عائلته في بعض مؤلفاته وهذا ما جعلنا نركن في غالب ترجمته إلى ما ذكره بنفسه.

وقد استخدمنا منهجاً وصفياً تحليلياً في دراستنا لهذا الموضوع (الزكاة) ومقاصدها التفسيرية التي ذكرها المؤلف .

المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمقاصد

المقاصد لغة: لم ترد كلمة (المقاصد) في المعاجم اللغوية، إلا أن جذرها اللغوي (قصد) موجود فيها ويرد بمعاني مختلفة، ومن ذلك إنه يعني: (استقامة الطريقة). (الفراهيدي، ١٩٩٩، ج٥، ص٥٤). ومنه قوله تعالى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} [لقمان : ١٩]. وتعني الاستقامة والاعتدال. كما يعني التوجه نحو شيءٍ ما، كقولنا: قصدت قصده، بمعنى ذهبت باتجاهه. (ابن منظور، ١٤٠٥هـ، ج٣، ص٣٥٣). كما إنه يرد بمعنى (الاكتناز والامتلاء)، كما يرد بمعنى (الاكتناز)، فيقال: ناقة قصيد، أي ممتلئة لحماً. (ابن منظور، ١٤٠٥هـ، ج٣، ص٣٥٣). وغير ذلك من الألفاظ التي تدل بعمومها على الانصراف إلى العزم على الشيء والتوجه نحوه .

المقاصد اصطلاحاً

لكون هذا المصطلح لم يرد في المصادر المتقدمة – كما أسلفنا – ولكونه مصطلحاً حديث الاستعمال، فلم يرد كذلك تعريف اصطلاحاً عند العلماء من المتقدمين، غير إن نشأته في العصور الحديثة وتطور استعمالاته في التفسير فقد وضع له المفسرون تعريفات تدلُّ عليه وعلى استخدامه العلمي، ومن تلك التعاريف: تعريف قول ابن عاشور: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة". (جغيّم، ٢٠١٤، ص١٣٧). وفي تعريفٍ آخر له قال: "الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة". (جغيّم، ٢٠١٤، ص١٣٧).

وعرّفها علال الفاسي بقوله: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها". (الخادمي، ١٤١٩هـ، ج١، ص٧).

ومن ملاحظ التعريف أعلاه يظهر أنه قد جمع بين المقاصد الشرعية العامة وبين المقاصد الخاصة، وقد تمحورت معظم التعريفات الأخرى حول هذين التعريفين . وبناء على ذلك يمكننا القول: بأن مقاصد التشريع هي غايات وُضعت من قبل الشريعة السمحاء لأجل مصالح الخلق. (الخادمي، ١٤١٩هـ، ج١، ص٥٠).

وفي تعريفٍ لأحد الباحثين قال: ""المقاصد: هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية والمترتبة عليها سواء أكانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين". (الخادمي، ١٤١٩هـ، ج١، ص٥١).

ومن ملاحظة التعريفات السابقة كلها يتبيّن لنا أن المقاصد تعني مراد الله سبحانه وتعالى من وحكمته من تشريع الأحكام للناس كونها تمثل المصلحة التي يبتغيها عزّ وجل لعباده.

نشأة المقاصد التفسيرية

نشأ علم المقاصد نشأةً متأخرة عن علم التفسير، وقد ظلّ المفسرون والعلماء من المتخصصين في علوم القرآن يتبعون منهجاً ثابتاً في تفسيره لآيات القرآن اعتماداً عمّا رواه السلف من روايات تفسيرية تناقلوها فيما بعد فأصبحت تمثل المنهج التفسيري عندهم. ولم تبرز أي محاولات تفسيرية تتخذ من المقاصد منهجاً لها حتى برزت بصورة يمكن ملاحظتها عند الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في مؤلفاته، فمثّل بذلك بدايات هذا العلم لاسيما في كتابه (جواهر القرآن ودرره). (جابر، ٢٠١٤، ص٤٦٧). وكتابه له آخر حمل عنوان (كيف نتعامل مع القرآن)، الذي وجه فقد انتقاداً لاذعاً للفقهاء الذين حاولوا – على حد زعمه – تفريغ التشريع عن مقاصدية النص التي تحوي جمال النص وحلاوته، فكان بذلك أول من أشار إلى هذا العلم. (الرسيوني، ١٩٩٥، ص٤٠).

وهنا لابد من الإشارة إلى أن نشأة علم الفقه – فضلاً عن أصوله – ساهمت بظهور علم المقاصد وإبرازه في المقام الأول، ولعلّ إشارة مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي هي أول إشارة واضحة على المقاصد وبروزها حتى أنه أطلق عليها "مذهب المقاصد الأول". (الرسيوني، ١٩٩٥، ص٤٠).

أما بروز منهج التفسير المقاصدي فظهر عند المفسّرين، لاسيما المتأخرين منهم، ولعل البقاعي (ت ٨٨٥هـ) من أوائل من كتب فيه، فمثلاً عند البحث في مناسبات ترتيب السور والآيات الكريمة ذكر حاجته إلى علم المقاصد بالقول: "وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها". (البقاعي، ١٣٨٩هـ، ج١، ص٦). أما القنّوجي – موضوع البحث – فقد ذكر المقصود الأعظم الذي اتفق عليه العلماء أنه كان الاخلاص في التوحيد، ونبذ كل جذور الشرك وقطعها، وهذا لا يتطلب منّا ننقل الأحاديث أو نتابع الأدلة الواصلة إلينا عن السلف، ففي القرآن الكريم ما يُغني عن ذلك. (ينظر: القنّوجي، د.ت، ج١، ص٧٤).

أما السيد محمد باقر الحكيم فذكر أن سبب نزول القرآن كان هدفه إحداث تغيير اجتماعي جذري من خلال ما رسمه القرآن لهذا التغيير. (الحكيم، د.ت، ص٤٩) مبيّناً إن هذا التغيير هو لتحرير البشر من العبودية لغير الله عز وجل، فضلاً عن تحرير العقل الإنساني من قيود الشهوة وعبوديتها. (الحكيم، د.ت، ص٤٩).

وهذا يعني إن على الإنسان فهم المقصد الأساس للنصوص المباركة كي تتحقق عملية التحرير بصورة صحيحة، فبدون فهم واضح وكامل لا يمكن أن تنجح.

وقد ساهم ظهور اتجاهات جديدة في التفسير إسهامات مضافة في تنامي التفسير المقاصدي، لاسيما عند المحدثين من المفسرين، واعتماد ذلك كلون تفسيري جديد تأثر كثيراً بالأدب المعاصر، فظهرت التفسير (الأدبي الاجتماعي). (نواب، رجبي، رضايي، شريف. ٢٠٢٣، ص٣٢١). وقد لجأ بعض المفسرين إلى الحديث عن عصرية القرآن عبر دعوتهم لمنهج اجتماعي يسعى لاستنباط الدلالات الاجتماعية للنص القرآني وربطه بحقائق الحياة وما يحتاجه المسلمون منها. (معرفة، ١٤٢٥هـ، ج١٠، ص٤٨٤). ولذلك عملوا على تفسير القرآن من منظور أدبي واجتماعي، كشفوا من خلاله عن بلاغة القرآن والاعجاز البياني الذي تخلل نصوصه موضحين معانيه وأهدافه. (معرفة، ١٤٢٥هـ، ج١٠، ص٤٩٣).

وقد اختطَّ بعض المفسرين منهجاً واضحاً في تبيينهم للنصوص القرآنية على أساس الاهتمام بمصالح الناس، ورعاية مصالحهم ماديةً كانت أم معنوية، فالقرآن على الرغم من كونه ثابتاً كنص، غير أنه متجدد، وهو صالحٌ لكل زمن، ولكل بيئة، وهو كما قال تعالى "تبيان لكل شيء". (الزمخشري، ١٩٦٦، ج١٨، ص١٥).

واعتماداً على تلك الفكرة، فقد نمى اتجاه ركز على الأبعاد الاجتماعية والتربوية للآيات القرآنية، وفسَّر جوانبها الإصلاحية على المستويين الاجتماعي والأخلاقي، ووضح ما تخللته تلك العناصر من أطر بنائية اجتماعية وتربوية.

أهم المؤلفات في المقاصد

بناءً على اهتمام المفسرين المحدثين بهذا اللون التفسيري الجديد، فقد ألف العديد منهم تفاسيرهم وفق هذا المنهج الجديد، ومن أهم هذه المؤلفات: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وهذا المؤلف لبرهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، وقد ذكر المقاصد التفسيرية للسور المباركة. وكذلك "تفسير المنار" وهو تفسير غير كامل لمحمد عبده المتوفي (١٣٢٣هـ) ويعدُّ من المجددين في الفكر الإسلامي، بناءً على آرائه في مؤلفاته التي تركها ولعل من أهمها هذا التفسير. واتبع فيه المنهج التربوي، حاول فيه عرض أفكار جديدة لمنهج يحارب الجمود الفكري الذي ينتهجه الفقهاء، وتقديم المذهب، داعياً لاستخدام العقل والتفكير. (معرفة، ١٤٢٥هـ، ج١٠، ص٤٩٦). ومن الذين ألَّفوا في المقاصد العلامة أحمد المراغي (ت ١٣٧١هـ)، وتفسيره المعروف بـ(تفسير المراغي). وقد بيّن فيه مقاصد التشريع وتجنب الإسرائيليات. (معرفة، ١٤٢٥هـ، ج١٠، ص٥٠٦). كما يعدُّ تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب من التفاسير التي انتهجب المنهج المقاصدي لتعزيز فهم الآيات القرآنية الكريمة. ولا يخلو تفسير (التحرير والتنوير) من ذات المغزى المقاصدي والمنهج التربوي للآيات الكريمة، فقد تضمن مباحث اجتماعية كثيرة ومعالجات لمسائل عصرية فرضتها الحاجة الإنسانية المعاصرة. (معرفة، ١٤٢٥هـ، ج١٠، ص٥٠٩).

أهمية التفسير المقاصدي

إن البحث عن المقاصد الشرعية ومحاولة تبيانها من أهم الأمور التي يسعى العلماء على وجه الخصوص للوصول إليها، لأنها تعدّ الغاية الأساس من مراد الله عز وجل في القرآن، لذا نراهم – في الغالب – يبحثون عن أسرار تلك الآيات ومرادها. (الرسيوني، ١٩٩٩، ص٩).

والوصول إلى تلك الغاية أمرٌ مهم يساعد على فهم تلك الأحكام، وتسهّل عليهم استخلاصها واستنباطها، لكونها عنصر مهم في مسألة التشريع. فاستنباط الحكمِ الشرعي لابد وأن يمرّ من خلال مراحلٍ عدة، لعلَّ أهمها: فهم النص، وهذه المعرفة تتطلب معرفة تامّة باللغة، وإجادة للعلوم الشرعية اللازمة كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وعموم تلك الآيات المشتملة على الأحكام من خصوصها، وتقييد النص واطلاقه، وموارد التعارض، وغير ذلك من المعارف اللازمة لاستخراج الحكم، ثم تقدير موافقة الحكم لمقصود الشارع المقدس. وهذه هي الفائدة الكبرى من المقاصد، فبها يمكن للعالم الوقوف على الوجه المراد من هذا النص دون الوجوه المحتملة الأخرى التي ينطوي عليها. (جغيم، ٢٠١٤، ص٤١).

كما تكمن أهمية المقاصد في أنها تساعد على فهم النص وتوجيهه، لاسيما في النصوص الضنيّة دلالياً، فهي تسهم في تحديد المعنى الأقرب لفهمها، وإحالة ذلك المعنى إلى الغاية المقصودة من النص الذي يتطلب – في بعض الأحيان – تأويل ذلك النص وعدم الاكتفاء بظاهره تأكيداً لمراد النص ومقصده. (جغيم، ٢٠١٤، ص٤١).

التعريف بالقنّوجي ومنهجه

لابد لنا في البداية من استعراض لمحة بسيطة عن حياة العلامة القنّوجي ومنهج كتبه بصورةٍ عامة لاسيما كتبه التفسيرية.

السيرة الشخصية للقنوجي

هو صديق بن حسن بن لطف الله الحسيني، القنّوجي. كُنِّي بأبي الطيب. (القنّوجي، ١٩٧٨، ج٣، ص٢٧٧). لُقِّب بالقنّوجي، نسبة الى الدينة التي نشأ بها وهي مدينة (قَنّوج)، من مدن الهند. يرجع نسبه – بحسب ما ذكر – إلى الامام زين العابدين (عليهم السلام). (القنّوجي، ١٩٧٨، ج٣، ص٢٧٧).

ولد سنة ١٢٤٨هـ ببلدة يقال لها (بانس بريلي)، (الحسيني، ١٩٦٢، ج٨، ص١٢٤٧). توفي والده وهو بعمر السادسة، فهاجر مع والدته إلى مدينة (قنّوج) حيث نشأ وترعرع فيها تحت رعايتها. (القنّوجي، ١٩٧٨، ج٣، ص٢٧٧). وفي صباه

حفظ اجزاء من القرآن، وأنكبّ على دراسة بعض علوم العربية، كالصرف والنحو والبلاغة، وبعض العلوم الأخرى، تعلّم الفارسية أيضاً وكل ذلك على يد بعض علماء وشيوخ قنّوج. (الحسيني، ١٩٦٢، ج٨، ص١٢٤٧).

وفي سنة ١٢٦٩هـ سافر إلى دلهي، وكانت عاصمة الهند آنذاك لغرض استكمال دراسته فيها، (القنّوجي، د.ت، ج١، ص٥٣٦)، فألتقى هناك بالشيخ محمد صدر الدين خان، الذي أولاه عناية خاصة، مفضلاً إيّاه على باقي طلبته، فأنزله في بيت أحد العلماء وهو نواب مصطفى خان، (السامرائي، د.ت، ص٥٨٨). الذي كان بيته يعد ملتقى للعلماء والفضلاء هناك، فكانت فائدته منهم عظيمة. (الحسيني، ١٩٦٢، ج٨، ص١٢٤٧).

وبعد أن نال حصيلة وافرة من العلوم، توّجت بإجازة بعض المشايخ له في العلوم الدينية، سافر إلى بهوبال، طلبا والرزق، (القنّوجي، د.ت، ج١، ص٥٣٦)، حيث إنها كانت آنذاك مركزاً تجارياً مهماً، وهناك ظهرت قدرته العلمية، فصنّف بعض الكتب التي يبدو إنها قد ذاع صيتها عند الناس، وهذا ما يبدو واضحاً من خلال قيام الوزير جمال الدين الدهلوي، (الحسيني، ١٩٦٢، ج٧، ص١٢٥). باختياره معلماً لأسباطه. فليس معقولاً أن يقوم الوزير بتعيين معلم لأبنائه لشخص مغمور علمياً .

ويبدو إن ثقة هذا الوزير بالقنّوجي كانت كبيرة جداً لدرجة إنه زوّجة ابنته أم الأولاد التي كان يقوم بتدريسهم، وذلك سنة ١٢٧٦هـ. (الحسيني، ١٩٦٢، ج٨، ص١٢٤٧). وقد ولّاه – صهره الوزير– بعد ذلك (نظارة المعارف) – وزارة التربية حالياً – سنة ١٢٨٦هـ بعد رجوعه من الحج مباشرةً، بعدها بمدة قصيرة ولّاه (ديوان الإنشاء) سنة ١٢٨٧هـ. (كحالة، د.ت، ج٢، ص٢٨٤). وبحكم توليه أخذ يتردد على سلطانة بهوبال (نواب شاه جهان بيكم) كثيراً، وليس في دار الملك فقط، بل تعدى ذلك إلى بيتها أيضاً. وهو– على ما يبدو – قد ساهم بنشوء علاقة بين الطرفين تكللت بالزواج سنة ١٢٨٨هـ. (النمر، ١٩٨١، ص٥١٢).

وقد عيّنته بمنصب النائب لها في السلطنة، ويساعدها في إدارة أمور المملكة، وينوب عنها في غيابها، لذا فقد لُقِّب بـ(النُّواب)، وكل ذلك تمَّ بموافقة بريطانيا التي كانت مستعمرة للهند آنذاك. (القنّوجي، ١٩٧٨، ص٢٧٣).

ويبدو إن تفوقه العلمي ونبوغه وكثرة مؤلفاته وإسهاماته في إثراء الفكر الإسلامي – لا سيما في الهند، ولطبيعة المنافسة المحتدمة بين الامبراطوريتين البريطانية والعثمانية – فقد منحه السلطان العثماني وساماً رفيعاً سنة ١٢٩٥هـ. (السامرائي، د.ت، ص٧٥٦). مما أثار البريطانيين فجرَّدوه من ألقابه التي منحوها إياه متهمينه بالتحريض في مؤلفاته على الجهاد ونشر المذهب الوهابي في الهند، لاسيما مؤلفه الأخير (العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة) وكان ذلك سنة ١٣٠٢هـ. (القنّوجي، ١٩٧٨، ص٢٧٣). إلا إن زوجته السلطانة لعبت دوراً كبيراً حين تدخلت بقوة لدى السلطات البريطانية لترطيب الأجواء بين زوجها والبريطانيين من خلال محاولاتها المتكررة في نفي التهم عنه حتى تمكنت أخيراً من ذلك، فرضي البريطانيون عنه وأعادوا إليه ما سلبوه منه من ألقاب ومن أهمها لقب النُّواب. (القنّوجي، ١٩٧٨، ص٢٧٣).

نتاجه الفكري والعلمي

تنوعت إسهامات القنّوجي في العلمية والثقافية في الهند عموماً، ومقاطعة باهوبال خصوصاً، فعلاوة على مؤلفاته الكثيرة التي بلغت (٢٢٢) مؤلفاً في مختلف العلوم الإسلامية، (القنّوجي، ١٩٧٨، ص٢٧٥–٢٧٩). كانت إسهاماته واضحة في نشر العلم والمعرفة عن طريق بناء المدارس والإشراف عليها وتزويدها بكافة ما تحتاجه هذه المدارس من مستلزمات تعليمية ومدرسين وغير ذلك حتى بلغ عدد المدارس التي أنشأها في عهده إحدى عشر مدرسة. (القمان، ١٤٠٨هـ، ص٤٦ وما بعدها).

كان القنّوجي موسوعياً، ألف في العديد من العلوم كعلوم القرآن وعلوم اللغة من صرف ونحو وبلاغة وغيرها، وعلوم الحديث الشريف وعلم الرجال والتفسير وغيرها. (الندوي، ١٩٦٢، ص٥٤). وكما ذكرنا سابقاً إنه كان غزير التأليف، كثير المصنّفات. (القنّوجي، ١٩٧٨، ص٢٧٣). وقد ترك (٢٢٢) مؤلفاً، منها (٥٦) مؤلفاً باللغة العربية، والباقي باللغتين الفارسية والهندية . (القنّوجي، ١٩٨٥، ص٤٨٣).

ومن أهم تلك المؤلفات: (القنّوجي، ١٩٧٨، ص٢٧٥-٢٧٩).

١- أبجد العلوم، والمسمى بـ(الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم).
٢- الادراك في تخريج أحاديث رد الاشراك .
٣- البلغة في أصول اللغة.
٤- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول .
٥- الحطة في ذكر الصحاح الستة .
٦- عون الباري بحلِّ أدلة البخاري.
٧- فتح البيان في مقاصد القرآن .
٨- فتح المغيث بفقه الحديث .
٩- نيل المرام في تفسير آيات الاحكام .

وفاته

مات القنّوجي متأثراً بإصابته بمرض الاستسقاء، بعد أن اشتد عليه، وأعياه العلاج، وهو بعمر السابعة والخمسين، (الزركلي، ١٩٨٠، ج٦، ص١٦٧). ولمكانته الدينية والدنيوية، فقد أوصت الحكومة البريطانية في الهند أن يُشيع كالأمراء، فحظي بتشييع مهيب، وصليَّ على جثمانه ثلاث مرات ودفن في بهوبال. (الحسيني، ١٩٦٢، ج٨، ص١٢٤٨).

منهج القنّوجي في بعض مؤلفاته

لا يخفى أن البحث عن منهج المؤلف أمر في غاية الأهمية، وذلك لأنه يكشف مراد المؤلف وطريقته في بيان مراده، ولأجل ذلك نرى أن أغلب المفسرين يمهدون لبيان منهجهم هذا في مقدمة كتبهم، فيعرضون الغاية من تأليفهم لهذا الكتاب، ويحاولون فيه تقديم وجهة نظرهم فيه، وبيان الخطوط العامة لهذا المنهج. وفي تفسير (فتح البيان) ذكر القنّوجي إنه جمع بين الدراية والرواية دون الاقتصار على مسلك واحد. (القنّوجي، د.ت، ج١، ص٢٠). أما في كتابه الآخر (نيل المرام من تفسير آيات الأحكام) فقد اعتمد منهجاً مغايراً، فكان يأتي بالآية بحسب موقعها من المصحف الشريف ويفسرها تفسيراً مبسطاً لا يتوغل في مرامها كثيراً، بل يكتفي بتعريف معاني كلماتها في اللغة أولاً، ثم يُبيِّن معاني الشرع فيها، بعد ذلك يبدأ بتفسيرها تفسيراً عاماً دالاً على معنى الآية بصورة عامة، وفقاً للروايات والأحاديث التي تؤكدها. (القنّوجي، ١٩٢٩، ص٢٢ وما بعدها).

وكان يفسر بعض الآيات الكريمة بما ورد عن الصحابة والتابعين، كما كان يعتمد اللغة العربية في بيان الآيات وتوضيح ألفاظها وكلماتها مستنداً على أقوال الشعراء وكلام العرب. ويعتمد في ذلك العبارات اليسيرة الفهم التي تُعين القارئ في تكوين فكرة واضحة عن دلالة الكلمات موضوع البحث.

كما استبعد في كتبه الجدل العقلي والكلامي والخوض فيهما، فضلاً عن الفلسفة وآراء المتصوفة وأنكر على أصحابها مثل هذه التأويلات. (القنّوجي، د.ت، ج١٣، ص٢٨٤). فكانت عباراته سهلة متوسطة بين التطويل والاختصار، وبحسب ما يتطلبه المطلب، وبعبارات وألفاظ بسيطة.

كما كان يذكر في بداية تفسير كل سورة خصائصها وفضلها ومعاني أسمائها ومكيّها ومدنيها، ولما سميت السورة بهذا الاسم، وعدد آياتها، ومن ثم بيان مقاصد آياتها.

المقاصد التفسيرية في مفهوم الزكاة عند القنّوجي

كما هو معلوم إن مصطلح (المقاصد التفسيرية) لم يكن موجوداً عند المفسرين القدماء، وإنما هو مصطلح حديث – كما بيّنا سابقاً – وسنحاول في هذا المبحث أن نقف على أهم المقاصد التفسيرية التي اختارها القنّوجي في تفسيره للقضايا الاقتصادية محل البحث .

مفهوم الزكاة في اللغة والاصطلاح

الزكاة: هي من زكَّى يزكي تزكيةً، وأصلها في اللغة النماء والبركة، (الزبيدي، ١٩٩٤، ج١٩، ص٤٩٤). وقيل: أنها سُمِّيت بهذا الاسم لأنها تزيد المال وتنميه. (ابن فارس، ١٩٩٤، ج٣، ص١٧). وعند القنّوجي: "سميت زكاة المال زكاة ؛ لأنها تطهره وتزكيه". (القنّوجي، د.ت، ج١٤، ص٣٩٧).

أما معناها الاصطلاحي: فهي ضريبة مالية خاصة فرضها الله سبحانه في أموال خاصة لأشخاص معلومين بشرائط معلومة، وجعل إخراجها عبادة مشروطة بقصد التقرب. (المشكيني، ١٩٩٩، ص٢٨١). ولأهميتها الكبيرة في التشريع الإسلامي فقد جاء ذكرها في كتاب الله مقرونة بالصلاة في آيات كثيرة. (ابن نجيم، ١٩٩٧، ج٢، ص٣٥٢).

المقاصد التفسيرية للزكاة

أشار القنّوجي إلى العديد من المقاصد التفسيرية للزكاة في تفسيره هذا، ولعل ذلك يعود إلى أهمية الزكاة التي تمثل رابطاً وصلة بين الإنسان والإنسان، وهذه الرابطة والصلة لها تأثير كبير على المجتمع الإسلامي على وجه العموم، لا يقلُّ عن تأثيرها العبادي على اعتبار كونها عبادة هي الأخرى، وأمر واجب ومفروض على المسلم، لكنه يختلف في رابطته التي تتوجه الإنسان، بدل من الرابطة العبادية التي تتوجه إلى الله تعالى، وكل من داوم على أدائها – الزكاة – واعتنى بمقصدها الشرعي، تحقق له الأثر، وتبيّن له قوة تلك الرابطة، متمثلة بالتراحم والتكافل والتعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان، فظهر – بالتالي – أثر تلك الرابطة على علاقته مع ربّه بنحو عبادي، وطابع إيماني، فزاد بذلك ماله ونما أجره.

إنماء المال ومضاعفته

أكد القنّوجي إن الزكاة من الفروض الواجبة على المسلمين وليست منّة منهم، كما جاء في تفسيره لقول الله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: آية ٢٠]، بقوله: "أي أنفقوا ما سوى المفروض في سبل الخير من أموالكم إنفاقاً حسناً عن طيب قلب، وإنما أضافه لنفسه كي لا يكون منّة على الفقير فيما يعطى من صدقة، وهذا لأن الفقير معاون له في تلك القربة فلا تكون له عليه منة، بل المنَّة للفقير عليه". (القنّوجي، د.ت، ج١٤، ص٣٩٧). وقد أشار إلى وجود هذا القصد في تفسيره للآية: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ

الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: آية ١٨] بقوله: "واقتصر على ذكر الصلاة والزكاة والخشية تنبيهاً بما هو أعظم أمور الدين على ما عداه مما افترضه الله على عباده، لأن كل ذلك من لوازم الإيمان". (القنّوجي، د.ت، ج٥، ص٢٥٥).

وفي للآية الكريمة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة: آية ٩]، قال: "هذه الآية من الأدلة الدالة على وجوب النيّة في العبادات لان الإخلاص في العمل من عمل القلب ... وقوله: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي يفعلون الصلوات في أوقاتها ويعطون الزكاة عند محلها وخص الصلاة والزكاة لأنهما من أعظم أركان الدين وهذه العبادة هي دين الملّة المستقيمة ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾". (القنّوجي، د.ت، ج١٥، ص٣٣٥).

والمعنى إن القنّوجي قد اعتبر النيّة ضرورية في عملية دفع الزكاة للمستحقين لأنها من العبادات، والعبادات لابد من توفر النيّة فيها قبل أدائها فهي الدين الصحيح.

أما مقاصديتها فوضح القنّوجي إن فيها العديد من المقاصد أجملها في الآتي: (القنّوجي، د.ت، ج٥، ص٣٨٩).

التزكية والتطهير والدعاء

ومن مقاصد الزكاة عند القنّوجي (التزكية والتطهير)، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: آية ١٠٣]، إن تطهيرهم يكون بما يؤخذ منهم من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صدقات، والمراد من التطهير هنا هو إذهاب آثار الذنوب والمعاصي، أما المراد من التزكية فهو المبالغة في فعل التطهير. (القنّوجي، د.ت، ج٥، ص٣٨٩).

ويؤكد على إن قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، هو بمعنى الدعاء لهم بالمغفرة نظير ما أدّوه من صدقة، لأن الصلاة عليهم ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ تُطمئِن نفوسهم وتُسكن أفئدتهم. (القنّوجي، د.ت، ج٥، ص٣٨٩).

وقد ذهب الجصاص في تفسيره لهذه الآية إلى القول أن معنى تطهرهم هو إزالة الرجس عنهم – رجس الذنوب – وهو يعني بها نجاسة الكفر. (الجصاص، ١٩٩٤، ج٣، ص١٩٠).

إزالة الحزن والخوف عن المسلمين

وهذا المقصد يتمثل في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: آية ٢٧٤): وقد ذهب القنّوجي إلى القول بأن ذلك مما يفيد في زيادة الرغبة بالإنفاق – دفع الصدقة – وشدة الحرص على ذلك، في كل وقتٍ ليلاً أو نهاراً وعلى كل حال كان، في السرّ أو العلانية. (القنّوجي، د.ت، ج٥، ص٣٨٩). واستشهد على ذلك بما رواه عبدالله ابن عباس حين قال بأن هذه الآية نزلت في الإمام علي عليه السلام الذي تصدق بأربع دراهم كان لا يملك غيرها، وعلى الحالات التي ذكرتها الآية الكريمة. (القنّوجي، د.ت، ج٢، ص١٣٧).

إزالة العذاب وإيصال الثواب

ذكر القنّوجي هذا المقصد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُم وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [المائدة: آية ١٢]: وقد فسّر ذلك بأن قوله سبحانه ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ يعني أنه عز وجل معهم بمدّ يد العون لهم بالنصرة، ما دمتم مؤمنين مقرّين

بالصلاة والزكاة، وقوله سبحانه: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً﴾ يأتي بمعنى الصدقة المندوبة لا الواجبة، لما لها من أهمية لذا خصّها تعالى تنبيها على تلك الأهمية وتعظيما لها. ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُم﴾. (القنّوجي، د.ت، ج٣، ص٣٧٤). كما اشار الثواب العظيم الذي ينتظر المؤمنين بذلك بأن أزال العذاب عنهم ونصرهم وأعانهم على أعدائهم وأثابهم: ﴿وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ في إشارة إلى الثواب العظيم الذي يأتيهم في الآخرة. (القنّوجي، د.ت، ج٣، ص٣٧٤).

ضرورة الإنفاق في سبيل الله

بيَّن تعالى إن المال يُصرف في وجوه المصالح الدينية، فقال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: آية ١٩٥]. وذهب القنّوجي إلى القول بأن الأمر بإنفاق المال باب من أبواب الجهاد، أما معنى الإنفاق فهو الصرف في الوجوه الشرعية كصلة الرحم والصدقة والحج وما إلى ذلك من وجوه الإنفاق الأخرى، فضلاً عن تجهيز المقاتلين الذاهبين للجهاد في سبيل الله، ووجوه البرّ الأخرى كالنفقة على الأهل والعيال وغيرها. (القنّوجي، د.ت، ج١، ص٣٩١).

وبيّن القنّوجي إن القرآن الكريم أكَّد على بيان طرق اكتساب المال في وجوه، كما ذكرت على وجوه صرفه أيضاً، فبيّنت ما في وجوه اكتسابه وصرفه، فكل ما يُصرف في وجوه البرّ ثوابه من الفضل الشيء الكثير – كما بيّنت النصوص – ولعل قوله سبحانه: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: آية ٩٢] هو مصداق ذلك. فالعمل الصالح لا يجازى إلا بمثله وأضعافه عند الله عز وجل، والإشارة إلى كلمة (البرّ) في هذه الآية المباركة لها معانٍ واسعة، فهي تعني التوسعة في عمل الخير. ولن يكون الجزاء إلا بمثل العمل، والإنفاق هنا هو الإنفاق في سبل الخير والطاعات. (القنّوجي، د.ت، ج٢، ص٢٨٣).

الخاتمة وأهم الاستنتاجات

توصل البحث في نهايته إلى النتائج الآتية:

١- يعدُّ المنهج المقاصدي في التفسير من المناهج الحديثة، الذي أصبح ذو أهمية خاصة لأن دراسته تعتمد على حكمة التشريع، وهو ما يبحث عنه العلماء ضمن التحديث في المناهج العلمية الحديثة.

٢- اكتسب منهج التفسير المقاصدي أهميته كونه يُعالج النصوص الشرعية بوجهة نظر تحاكي روح العصر بدلاً عن التفسير النمطي لأصحاب المدارس القديمة في التفسير.

٣- يعد العلامة صديق القنّوجي من العلماء الأوائل الذين ألفوا في منهج التفسير المقاصدي، ومن أوائل الذين اختطوا لأنفسهم منهجاً مقاصدياً حديثاً في التفسير.

٤- تميز منهج العلامة القنّوجي في التفسير بسهولة العبارة وبيان الفكرة، بأسلوب جميل يسهل من خلاله قراءة الفكرة التي أسسها المؤلف لمناقشة الحكمة من التشريع من خلال النصوص التي يفسرها. وهذا ما لاحظناه حين تناول مفردة الزكاة التي أفرد لها صفحات كثيرة في كتبه.

٥- إن موضوع الزكاة يعدُّ من المواضيع الهامة التي تهم حياة الفرد المسلم والمجتمع بصورة عامة، من خلال حكمة تشريعها التي جعلها الله سبحانه بمثابة أداة للتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، من خلال ذلك أفرد لها القنّوجي مبحثاً خاصاً ناقش من خلالها كل ما يتعلق بها وحكمة تشريعها وأهميتها.

٦- لا تقتصر أهمية الزكاة – بمعناها الواسع – على كونها تعالج مشكلة الفقر في المجتمع المسلم، وإنما تبرز أهميتها أيضاً من خلال أن الله سبحانه قد جعلها من وجوه الإنفاق التي يُثاب بها الإنسان جراء ذلك الإنفاق. فثوابها كبير في الآخرة وضح ذلك كثرة النصوص القرآنية الدالة على ما للمنفقين من ثواب وأجر كبيرين.

المصادر والمراجع

١- جابر، علي أمين. (٢٠١٤). فلسفة التأويل عند صدر الدين الشيرازي، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢- جُغَيم، نعمان. (٢٠١٤). طرق الكشف ع مقاصد الشارع، ط١، دار النفائس للنشر والتوزيع، الاردن.

٣- الخادمي، نور الدين. (١٤١٩ الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر.

٤- حسيني، عبد الحي بن فخر الدين. (١٩٦٢)، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ط١، دائرة المعارف العثمانية، الهند .

٥- الرسيوني، أحمد. (١٩٩٩). الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

٦- الرسيوني، أحمد. (١٩٩٥). نظرية المقاصد عند الشاطبي، المعهد العالي للفكر الاسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، د.ت.

٧- الزركلي، خير الدين. (١٩٨٠). الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٨- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. (١٩٩٤). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمد شيري، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٩- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. (١٩٦٦). البرهان في تفسير القرآن، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٠- السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم. (د.ت). علماء شبه القارة الهندية، بغداد، العراق .

١١- ابن فارس، أبو الحسين احمد. (١٩٩٤). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، د.م.

١٢- الفراهيدي، الخليل بن احمد. (١٩٩٠). العين، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، ط١، مؤسسة دار الهجرة، بيروت، لبنان.

١٣- القنّوجي، صديق حسن البخاري. (١٩٧٨). أبجد العلوم، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، سوريا.

١٤- القنّوجي، صديق حسن البخاري. (١٩٨٥). الحطة في ذكر الصحاح الستة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥- القنّوجي، صديق حسن البخاري. (د.ت). التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الاخر والاول، إدارة الشؤن الاسلامية، قطر.

١٦- القنّوجي، صديق حسن البخاري. (د.ت). فتح البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

١٧- كحالة، عمر رضا، (د.ت). أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٨- لقمان، أختر جمال. (١٤٠٨هـ). محمد صديق القنّوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية.

١٩- معرفة، محمد هادي. (١٤٢٥هـ). التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ط٢، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، قم. إيران.

٢٠- المشكيني، علي. (١٩٩٩). مصطلحات الفقه، مؤسسة جاب الهادي، إيران.

٢١- ابن منظور، أبو الفضل بن مكرم. (١٤٠٥هـ). لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، إيران.

٢٢- ابن نجيم ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد المصري. (١٩٩٧). البحر الرائق شرح كنز الدقائق، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٣- الندوي، حسين. (١٩٦٢). المسلمون في الهند، مكتبة دار الفتح، دمشق، سوريا.

٢٤- نواب، السيد أبو الحسن، رجبي، حسين، رضايي، أسد الله، شريف، ليث عبد الرضا. (٢٠٢٣). الاجتهاد الملاكي والمقاصدي بين الإمامية وأهل السنة دراسة معاصرة، لارك، (١٦)، ٢.
https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss49.2955